مستويات الزمن في رواية "شمعة لا تنطفىء" للكاتب الدكتور محمود الزهار

د. ماجد محمد النعامي*

Abstract

Time Levels in the Novel "*A Candle Not Extinguished*" by *Dr. Mahmūd al-Zahār*

This study aims at studying the time levels in the novel "A Candle Not Extinguished" by Dr. Mahmūd al-Zahār. The researcher started with a preface, then he focused on the concept of time. In addition, the researcher tackled the time levels and divided them into three as follows:

First, the level of order:

1. Retrieval:
   - Retrieval by the character
   - Retrieval by the monologue
   - Retrieval by the objective narrator
2. Preemption:
   - The expected preemption,
   - The unexpected preemption

Second, the level of period:

1. The adjustment technique:
   - Deletion:
     - The limited deletion
     - The unlimited deletion.
   - Conclusion
2. The slowdown technique:
   - The scene
   - The descriptive pause.

Third, the level of rhythm:

1. Talking one time about what happened once.
2. Talking too many times about what happened once.
3. Talking one time about what happened too many times.

The conclusion: based on the nature of the study, the researcher followed the analytical descriptive approach.

Keywords: A Candle Not Extinguished; *Dr. Mahmūd al-Zahār*; Novel; Time Level.

يهدف هذا البحث الى دراسة مستويات الزمن في رواية (شمعة لا تنطفئ) للكاتب محمود الزهار وذلك وفق المحاور التالية:

تمهيد

مفهوم الزمن

مستويات الزمن:

أولا: مستوى الترتيب:

١ــ الاسترجاع:

- الاسترجاع بواسطة الشخصية

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين

- الاسترجاع بواسطة المونولوج
- الاسترجاع بواسطة الراوي الموضوعي

٢_ الاستباق:

- الاستباق المتوقع
- الاستباق غير المتوقع

ثانيا: مستوى المدة :

١_ تقنيتا التعديل:

- **الحذف:**

الحذف المحدد

الحذف غير المحدد

- **الخلاصة**

٢_ تقنيتا الابطاء:

- المشهد
- الوقفة الوصفية

ثالثا: مستوى التواتر:

- يحكى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة
- يحكى مرات لا نهائية ما وقع مرة واحدة
- يحكى مرة واحدة ما وقع مرات لانهائية

الخاتمة وقد اقتضت طبيعة البحث أن يسلك الباحث المنهج الوصفي التحليلي

مفهوم الزمن

يرى ابن منظور أن " الزمان اسم لقليل من الوقت أو كثيره..... ويكون الزمن شهرين إلى ستة أشهر، والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه، وأزمن الشيء: طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان: أقام به زمان...."[١]

وعند الفيروز أبادي: "الزمن اسم لقليل من الوقت وكثيره، والجمع أزمان وأزمنة وأزمن.."[٢]

وقد يكون لفظ الزمن مشتقاً في معناه من الأزمنة بمعنى الإقامة، ومنه اشتقت الزمانة لأنها حادثة عنه، يقال: رجل زمن، وقوم زمني.[٣]

ويرى سعيد يقطين أن الزمن من أكثر الظواهر تعقيداً وأكثرها استقصاءً وانفلاتاً من الحصر والتحديد، ونلمس ذلك في قوله: " حصيلة مقولة الزمن تجد اختزالها العلمي والمباشر مجسداً بجلاء في تحليل اللغة، وبالأخص في أقسام الفعل الزمنية التي نظر إليها من خلال تطابقها مع تقسيم الزمن الفيزيائي إلى ثلاثة أبعاد: الماضي، الحاضر، المستقبل، وما زال التفكير في الزمن يأخذ شيات وأشكال عديدة إلى يومنا من هذا..."[٤] أما عن الزمن في الكتابة الروائية، فله دلالاته المتعددة، فإذا كان يعني في الرواية التقليدية (الزمن الحاضر) أصبح في

الرواية متعدد المفاهيم، ومنها مدة التلقي أو القراءة، ويرى أصحاب هذه الرؤية أنه لم يعد هناك زمن سوى الحاضر أي زمن الخطاب، ولا وجود لما قبل ذلك وما بعده.[٥] لقد أصبح الزمن في الرواية الحديثة متكسراً يتوزع بين عدة أزمنة، ينتشر ويتداخل وكأنه يرفض توزيع الزمن إلى ماض وحاضر ومستقبل، مما أثر على أسلوب القص الروائي، بحيث أصبحت للقطعة المشهدية سمة من سمات هذا الأسلوب.[٦]

وهناك من يرى أن عجلة الزمن متغيرة وغير ثابتة في علاقتها بالموضوع الروائي، ففي رواية الشخصية مثلاً يكون الزمن عديم الأهمية بسبب أنه لا يتبع إلا ضرورة واحدة وهي ازدياد أعمار الشخصيات ازدياداً حسابياً والمضي تغيرهم بدرجة واحدة، دون النظر إلى رغباتهم وخططهم، والزمن هنا لا يأبه إلا بسيره وحده.

ويعد الزمن في الخطاب الروائي تقنية من أدق التقنيات التي تؤثر مباشرة في البنية العامة للرواية. وهي التي تحكم الأزمنة المتغيرة في نطاق رؤية الرواية العامة، وبها تتمكن الرواية من الاستجابة لهذه الرؤية في نهاية الأمر".[٧]

وانطلاقاً من زمني القصة (زمن الشيء المحكي)، وزمن الخطاب (زمن الحكي)، فقد حدد (جينيت) مستويات ثلاثة يتضافر فيها عنصر الزمن الأساسي في النص وهي:

أولاً: نظام الترتيب الزمني: ويتعلق بآليتا الاسترجاع والاستباق.

ثانياً: نظام اللاتواقت الزمني (الديمومة) ويتعلق بآليتا التبطيء والتسريع السرديين من تلخيص، وحذف، ووصف، ومشهد حواري.

ثالثاً: نظام التواتر، ويتعلق بتكرار الأحداث في المتن والمبنى، وعدد مرات تكرارها، ومقارنتها بالنصوص سواء كانت مفردة أم مجملة أم مكررة ".[٨]

وبناء على هذه المستويات فإن هذا البحث سيحاول الإحاطة بزمن القصة، وزمن الخطاب، من خلال تقديم النماذج النصية المدروسة، وفق مواطن البناء الزمني، ودلالته الفنية في النص الروائي، وعلاقته مع النصوص الأخرى التي ترتبط به.

أولاً: مستوى الترتيب الزمني

يعرف نظام الترتيب الزمني بأنه: " مقارنة نظام الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة ".[٩] و الترتيب يأتي من جهة أخرى من خلال كسر زمن القصة وانفتاحه على زمن ماض له، أو ماض قريب، أو بعيد جداً، فالراوي يتفنن في استخدام هذا الأسلوب فيحقق ذلك التداخل بين الأزمنة المتعددة، بحيث تجعل الأحداث في نظام زمني متميز.[١٠]

١– الاسترجاع:

يعرف(جينيت) الاسترجاع فيطلقه على"كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها في القصة ".[١١]

تعد تقنية الاسترجاع من التقنيات الزمنية السردية الأكثر حضوراً وتجلياً في النص الروائي، إذ يلجأ فيها الراوي إلى أحداث ماضية تتخيل له، بحيث نجد الحاضر فيه قد استدعى الماضي، وفيه يعود "السارد إلى سرد بعض الأحداث الماضية بعد أن يتوقف السرد عند نقطة معينة".[١٢] لم تدخل في الإطار الزمني للمحكى الأول. وعن طريق هذه التقنية نستطيع الوقوف على الكثير من الأحداث الماضية – المهمة – التي كان لها الدور

الأكبر في تنامي حركة السرد الروائي لأنها " تعمل بأقصى طاقتها في جلب الواقعية الماضوية واستدراجها في اللحظة الزمانية المناسبة" [١٣] "ولا تخضع الاسترجاعات... لنظام خاص ينتظمها وإنما يستدعيها النص وفق ما تقتضيه عملية القص".[١٤]

يجد من يتأمل الرواية– موضوع البحث – أن الاسترجاع لم يتخذ نمطاً واحداً، بل ورد بطرائق عدة أولها:

١– الاسترجاع بواسطة الشخصية

في هذه الطريقة تقوم الشخصية القصصية نفسها باسترداد ماضيها البعيد أو القريب من خلال الذكريات المخزونة في وعيها والتي تتدفق لتضيء الجوانب المهمة والمظلمة في حياتها. نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

– استرجاع الشيخ عز الدين القسام موقف الناديين (العربي، المنتدى الأدبي) من لجنة (كنج كرين) التي شكلها الأمريكيون للتحقيق في الأحداث التي وقعت بين العرب واليهود: "أكد لهم الشيخ القسام أنه عندما شكلت أمريكا في ١٩١٩م لجنة كنج كرين، للتحقيق في المواجهات وقف الناديان موقفاً موحداً تقريباً، ونقلا بصورة جيدة الموقف الفلسطيني".[١٥] لقد أسهم هذا الاسترجاع في إبراز ضرورة توحيد الصف الفلسطيني في مواجهة المخطط الصهيوني الغربي لاحتلال فلسطين.

وظف الكاتب تقنية الاسترجاع ليبرز التنافس الشديد بين الدول الغربية الكبرى خاصة بريطانيا وفرنسا، فيما يخص احتلال أكبر قدر ممكن من البلاد العربية، وهذا ما نلمسه في استرجاع الشيخ عز الدين القسام لعالم ذكرياته: "فرغ الشيخ القسام من فنجانه،... ليعود إلى عالم الذكرى المحفورة عميقاً في ذاكرته، ليقرأ ما كتبته الأيام المريرة فيها، فذكرهم بحالة المنافسة التي كانت بين بريطانيا وفرنسا قبل وبعد سايسكس بيكو".[١٦]

لجوء الشيخ عز الدين القسام إلى الاسترجاع ليربط بين واقع الصحابة رضوان الله عليهم، وبين واقع الفلسطينيين وما حدث بينهم من خلاف، ليدلل من خلاله إلى أن الاختلاف لا يفسد للود قضية: "وكان يذكرهم في خطبه كيف اختلف أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، في أسرى بدر، وحرب الردة، ولكن بقي الإسلام قوياً، لقد وسع الاختلاف دائرة الفكر، وصوب الموقف، وصلبه".[١٧] الاسترجاع الذي لجأ إليه الشيخ (الحنفي)، ليدلل على الدور البطولي المقاوم الذي قام به الملثم صاحب الكوفية والعقال.

٢– الاسترجاع بواسطة الراوي

يتحقق هذا الاسترجاع عندما يعود الراوي إلى: "رواية الأحداث الماضية التي وقعت قبل بدء أحداث الرواية أو قبل بدء الأحداث التي رواها".[١٨]

ولا يسترجع تلك الأحداث الماضية إلا الراوي المطلع على كل تفاصيل الأحداث، وخفايا الشخصيات، فهو يعلم بكل دقائق الأمور، ويعلم ما تعلن الشخصيات الروائية، وما تسر، ونلمس ذلك في الرواية (موضوع البحث)، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

ربط الراوي بين الواقع المشرق الذي كانت تحياه فلسطين أيام صلاح الدين الأيوبي، حيث أعطى المسيحيين الحرية التامة في ممارسة شعائرهم الدينية، وبين الواقع الأليم الذي يحياه أهل فلسطين على يد الاستعمار البريطاني، "منذ أن فتح الله فلسطين على يد صلاح الدين الأيوبي، ووقوف أهل البلاد المسيحيين معه، أمنهم على أرواحهم وأموالهم، وسمح لهم بأن يحتفلوا في كل عام بعيد الفصح، فكانت تنطلق المسيرات المسيحية من

القدس إلى أريحا، ذاهبة إلى مقام هناك.... ولقد شاركهم المسلمون فرحتهم في كل عام...وهنا انطلقت زخات من الرصاص على الجماهير المحتشدة، وتفرق الجميع في كل اتجاه ... وصعدت بعض الأرواح إلى بارئها".[١٩]

وظف الراوي تقنية الاسترجاع ليدلل على البيئة المجاهدة التي نشأ وترعرع فيها الشيخ عز الدين القسام: "ولد الشيخ عز الدين القسام في عام ١٨٧١م، في بلدة (جبلة) وهي إحدى قرى الساحل، كان والده الشيخ عبد القادر مصطفى القسام من الرجال البارزين في الدعوة الإصلاحية،... بعد أن نال عز الدين قسطاً من التعليم في كتاب والده، وفي عام ١٩٠٤م ذهب وأخوه فخر الدين إلى الأزهر، في القاهرة، حيث التقى بقادة العلم والسياسة،... ثم عاد إلى موطنه عام ١٩٠٩م،... تسلم عز الدين الراية من والده، فبدأ بتدريس القرآن،... ثم سافر إلى عاصمة الخلافة الإسلامية، اسطنبول، ليدرس فنون التربية والتدريس،... وعندما وطأت أقدام الإيطاليين أرض ليبيا المسلمة في عام ١٩١١م قاد الشيخ عز الدين القسام المظاهرات الحاشدة ضد الاحتلال،... تمكن الشيخ من السفر سراً إلى ليبيا... والتقى بالعديد من المجاهدين، ومنهم الشيخ عمر المختار، وسلمهم ما جمع من تبرعات للمجاهدين،[٢٠] لجوء الراوي إلى تقنية الاسترجاع ليدلل على معرفة أبناء الشعب الفلسطيني بالدور البريطاني من تمكين اليهود في أرض فلسطين وإن كان ما يعلنونه لهم خلاف ذلك: "كان الجميع يستمعون وهم يعرفون أن بريطانيا قد أصدرت في يونيو ١٩٢٠م الكتاب الأبيض لتنظيم حقوق الطوائف في حائط البراق، قالوا لهم فيه، إن فلسطين ليست يهودية، وأبلغوهم رفض بريطانيا مشاركة اللجنة اليهودية في الحكم، وأن بريطانيا ستحد من نسبة الهجرة اليهودية".[٢١]

لجأ الراوي إلى تقنية الاسترجاع ليدلل على أن العمل المقاوم حتى يكتب له النجاح، لا بد له من نواة صلبة يرتكز عليها، وهذا ما نلمسه من خلال ربط حاضر المقاومة الفلسطينية، بالتدرج الذي سلكه الرسول ﷺ الذي عمد إلى سلوك نهج التربية والإعداد قبل الجهاد والمواجهة: "لقد مضى رسول الله ﷺ يدعو حتى حقق النواة الصلبة، التي أقامت دولة وحضارة،... لقد كانت تجربة الشيخ في سورية تجربة غنية، لقد تكسرت أعواد كثيرة و لم تصمد إلا أعمدة المؤمنين".[٢٢]

– لجأ الراوي إلى استرجاع ما حدث بين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عمر رضي الله عنهما من خلاف ومع ذلك لم يؤد إلى الافتراق، وذلك ليدلل على أن الاختلاف الفكري بين العاملين على الساحة الفلسطينية، يجب أن يكون مدعاة للوحدة لا للتفرق: " وكان يحذر من منهج القهر الفكري،... فبعد اختلاف عمر وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما لم يتفرقا، و لم يختلفا، و لم يحدث انشقاق، ففي حادثة أسرى بدر حسم الرسول القرار، ثم نزل القرآن من بعده ليصحح، وفي حرب الردة حسم الأمير الأمر، وبقي عمر جندياً مخلصاً".[٢٣]

وظف الراوي الاسترجاع ليسلط الضوء على البيئة الصعبة التي تربى فيها (حسن): "كان الناس يعرفون أن والد حسن مات في إحدى القرى، وترك خلفه أمه وإخوة ثلاثة، وقد رعته ماريا وتولت الإنفاق عليه ؛ حتى يساعدها في حياتها اليومية، و لم يرحم هذا البيت أحد في المنطقة، لا الصبي سلم من زملائه في المدرسة، ولا سعيد يستطيع أن ينفي ما يقولونه عليه، ولا أحد يقبل بوجود ماريا بسبب سعيد".[٢٤]

وظف الراوي الاسترجاع عندما ربط بين الشهداء (جمجوم، وحجازي، والزير)، وشهداء بدر وشهداء أحد: "وكانوا يعلمون أن استشهاد القادة هو بعث جديد لكل أمة أخذ الوطن كله يتأمل شهداء بدر، وشهداء

أحد، وكيف انقلبت موازين المعارك لصالح المؤمنين بحجم تضحيات الشهداء".[٢٥]

الاسترجاع عن طريق المونولوج

ففيه يتم استرجاع الأحداث الماضية عن طريق الحوار، وهذا ما نلمسه في صفحات هذه الرواية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

كشف الراوي من خلال الحوار الذي أجرته بعض شخصيات الرواية من خلال استرجاعها لبعض الأحداث عن تواطؤ الانجليز مع الصهاينة: "همس ناجي:

-... تعلمون أن هربرت صمويل، ما يسمونه المندوب السامي، قد أعطى اليهود موافقة باحتكار توليد الكهرباء في فلسطين، وتوزيعها...

- تشكلت كما تعلم في الأسابيع الأخيرة تجمعات جماهيرية متعددة ، شملت كل فلسطين، والعجيب أنه في بعض التجمعات الكبيرة ظهر ملثم بكوفية بيضاء وعقال أسود، يحث على القتال، وكان يختفي كل مرة رغم طوق الاحتلال المحكم، وعمل الجواسيس...

- الجديد أن اجتماع يافا الأخير انتهى بتوجه هذا الملثم ومعه عدد كبير إلى ميناء يافا، والعجيب أن هناك من فتح لهم بوابة جانبية،... فأشعلوا النار فجأة في أماكن التخزين، وعلى غير توقع من أحد خرج من البراميل اليهود المختبئون،... خرجت الجرذان من محورها، وانكشف التواطؤ الانجليزي مع اليهود".[٢٦]

كشف الراوي من خلال الاسترجاع الذي أجرته بعض الشخصيات عبر الحوار عن كيفية تولي الحاج أمين الحسيني شؤون الأوقاف: "فبادر ناجي أبو زيد... قال:

- فمنذ أكثر من شهرين تقريباً عقد اجتماع لتأسيس المجلس الإسلامي الأعلى، وقد قاطع الاجتماع راغب النشاشيبي وخمسة من رفاقه، ورأسه الحاج أمين الحسيني، وأصبح المرجعية الدينية في كل فلسطين".[٢٧]

كشف الحوار من خلال استرجاع بعض الحوادث التي حدثت في ميناء حيفا عن مقاومة المجاهدين الفلسطينيين ومتابعتهم للمخطط البريطاني لتوطين اليهود الصهاينة في أرض فلسطين ": وهناك تدخل ناجي أبو زيد، فقال: كان ميناء حيفا قد شهد في الفترة الأخيرة حالة إضراب عمال كبيرة بسبب سوء المعاملة، واحتجاجاً على جلب مستوطنين يهود، كان هذا بتحريض من القادة في القدس، فأضرب معظمهم".[٢٨]

ثانياً: الاستباق

حركة زمنية تعني "قص حادثة قبل زمن حدوثها".[٢٩]

ربما تقع في زمن السرد أو الزمن اللاحق للسرد.[٣٠]

"دون إخلال بمنطقية النص"، [٣١] وهو كل " حالة توقع وانتظار يعايشها القارئ أثناء قراءة النص، بما يتوفر له من أحداث وإشارات أولية توحي بالآتي. ولا تكتمل الرواية إلا بعد الانتهاء من القراءة، إذ يستطيع القارئ تحديد الاستباقات النصية، والحكم بتحققها أو عدمه".[٣٢]

يجد المتأمل للرواية (موضوع البحث) حضوراً واضحاً للاستباق الزمني فيها، وقد قسم إلى قسمين:

أولاً: الاستباق المتوقع حصوله

وهو تلك القفزات الزمانية التي تحققت أو قد تتحقق في الحاضر الروائي، وذلك لارتباط الفضاء الروائي

بأحداث واقعية فنياً، جعلت لهذا التوقع قابلية التحقق، نذكر على سبيل المثال:

– توقع الشيخ (رشيد إبراهيم) أن صيف ١٩٢١م سيكون حافلاً بالأحداث ولن يختلف عن صيف العام السابق في أحداثه المتسارعة: "يبدو يا مولانا أن وفاة المرحوم كامل الحسيني، مفتي البلاد في القدس ستكون له تداعيات كبيرة، يبدو أن صيف ١٩٢١م، لن يختلف عن سابقه!".[٣٣]

– توقع حدوث مواجهات بين العرب واليهود والانجليز، في كل ظهور للملثم الذي يعمل على إلهاب الجماهير العربية، ويحثها على مقاومة الصهاينة والإنجليز: "لقد أصبح ظهوره رمزاً، وأصبح وجوده في مكان يعني معركة يسقط فيها إنجليز ويهود... وتذكر ما حدث في القدس العام الماضي حول النادي العربي".[٣٤]

– توقع فشل الإنجليز في إخماد نار الثورة الفلسطينية ضد المخططات الصهيونية الإنجليزية: "هل سينجح صمويل في إخماد روح المقاومة؟ سؤال أجاب عليه القرآن، نيابة عن المؤمنين..." الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل "... إن الآلاف من الفلسطينيين اليوم قد ألزموا أنفسهم بلبس الكوفية البيضاء والعقال الأسود... كلهم ملثم...وفي الثاني من نوفمبر من العام نفسه حدثت هبة شعبية عارمة في القدس، وتبادل الطرفان النار".[٣٥]

– التوقع بصعوبة الإجراءات القمعية التي ستنتهجها حكومة الاحتلال البريطاني ضد المقاومة الفلسطينية: "من أجل ذلك أتوقع أن تتخذ قوات الاحتلال إجراءات شديدة ضد كل من لا يعلق الآمال على الانجليز،... إن غالبية الشعب أدركت أن بطش الانجليز سيطال كل من يخالف القانون...لذا يجب أن نكون حذرين للغاية".[٣٦]

– التوقع بتصدي شباب فلسطين للمخططات الصهيونية ببناء مستوطنات لهم في فلسطين، بعد انضمام هؤلاء الشباب للمقاومة الفلسطينية: "أظنهم على وشك بناء مستوطنة جديدة... لن يكون ذلك إنشاء الله، لقد انضم إلينا في الفترة الأخيرة، مجموعة شباب ما شاء الله! تراهم في كل مسجد يذهب إليه الشيخ عز".[٣٧]

– توقع الشيخ عز الدين بوطنية (سعيد) بالرغم من الشبهات التي تدور حوله: "أن سعيد لا يكذب أبداً، كما أنه يثور لكرامته، وهاتان خصلتان تستدعي عدم التعجل في الحكم عليه، إن البلاد تشهد موجة متصاعدة من القتل على اتهامات لا دليل فيها، الشعب ليس خائناً".[٣٨]

– توقع الشيخ (محمد حنفي) المصري أن قتل القائد البريطاني (بنتويش) سيكون له تداعيات سلبية على المقاومة الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني: "أرى أن قتل بنتويش، وهو بريطاني يهودي صهيوني، وهو نائب هربرت صموئيل الحاكم البريطاني، سيجر على الشعب ويلات كبيرة...ولولا استشعار الملثم لخطورة الموقف وتداعياته ما أرسل هذه الرسائل إلى العديد من المناطق، فكروا بروية بعيداً عن انفعالات أبي إبراهيم".[٣٩]

الاستباق غير المتوقع

و هو تلك القفزات الزمنية التي لن تتحقق في الحاضر الروائي، وذلك لعدم إمكانية حدوثها، ولا تخرج عن كونها مجرد أمنيات تكشف عن عجز الإنسان أمام واقع لا يستطيع تغييره.

يجد المتأمل لصفحات هذه الرواية أن هذا النوع من الاستباق لم يرد إلا مرة واحدة، ولعل ذلك يعود إلى أن الرواية (موضوع البحث) تعالج واقعاً ملموساً عايشه أبناء الشعب الفلسطيني بآلامه وآماله، ونلمس هذا

الاستباق في أمنية الشيخ (العيزاراوي) بأن يرجع شاباً، ليحقق ما عجز عن تحقيقه في شيخوخته: " قام شاب يهودي برفع العلم اليهودي على حائط البراق، وشعر المسلمون بالدم يغلي في العروق، ...ورفع الشيخ العيزاراوي صوته صائحاً في الشاب:

– ماذا تنتظرون بعد هذا؟

فاستدار الشاب... وابتسم، وقال بهدوء:

– بعد قليل سترى ما تقربه عينك، لقد أعددنا لكل شيء عدته.

... سال الدم، ما تمنى الشيخ يوماً أن يرجع شاباً بقدر أمنيته في تلك اللحظات، علم يهودي على حائط البراق! يا للعار! [٤٠]

ثانياً: مستوى المدة

يتعلق هذا المستوى بقياس سرعة الزمن وبطئه، ويتحدد "بالنظر في العلاقة بين مدة الوقائع، أو الوقت الذي تستغرقه، وطول النص قياساً لعدد أسطره وصفحاته".[٤١]

و يكشف هذا المستوى عن "مجموعة من الأشكال أو التقنيات السردية التي تقودنا إلى استقصاء سرعة السرد والتغيرات التي تحدث على نسقه من تعجيل أو تبطئة".[٤٢]

يجد المتأمل لصفحات الرواية (موضوع البحث) أن التقنيات التي هيمنت بشكل واضح على صفحات الرواية، هما تقنيتا التعجيل، والإبطاء.

١– تقنيتا التعجيل

تختص تلكما التقنيتان بتسريع حركة السرد، وتتمثلان ب (الحذف والخلاصة) وفيهما تعرض الأحداث التي امتدت لسنوات في أسطر قليلة.

تعد تقنية التسريع من "أهم الأسس التي يقوم عليها أي نص سردي عموماً، اعتماداً على عدم إمكانية رصد الأحداث كلها، فإن حكى يوم واحد كاملاً من حياة شخص عادي يحتاج إلى عدة مئات من الصفحات"،[٤٣] وأول تقنيتي التسريع هما:

تقنية الحذف

وتعني "حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة، وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها السرد شيئاً ".[٤٤] وتعد " أعلى درجات تسريع النص السردي من حيث هو إغفال لفترات من زمن الأحداث".[٤٥]

ويقسم الحذف على قسمين:

– **الحذف المحدد:** وفيه يصرح الراوي بحجم المدة الزمنية

– **الحذف غير المحدد:** وفيه لا يعلن الراوي صراحة عن حجم المدة الزمنية المحذوفة بل يفهم ضمناً ويستنتج استنتاجاً يقوم على التدقيق والتركيز والربط بين المواقف السابقة واللاحقة.[٤٦]

الحذف المحدد

يجد المتأمل لصفحات الرواية (موضوع البحث) أن الراوي وظف تقنية (الحذف المحدد) ليسرع من أحداث

الرواية في العديد من المواضع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– حذف الراوي للأحداث التي جرت في الفترة الواقعة ما بين مايو ١٨٩٠م إلى يونيو ١٨٩١م: "فقد احتج وجهاء القدس المسلمين ضد رشاد باشا، متصرف القدس في مايو ١٨٩٠م عندما أبدى محاباة للصهاينة، وقدموا عريضة لرئيس وزراء الدولة العثمانية في ٢٤ يونيو ١٨٩١م، طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين".[٤٧]

ركز الراوي على هذين الحدثين دون الأحداث الأخرى لأنه – كما يرى الباحث – اعتبر أن هذين الحدثين يخصان قضية مهمة (الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) أسهمت في ضياع أرض فلسطين المباركة، ولأنهما يسلطان الضوء على المساع التي بذلتها الصهيونية العالمية من أجل تمكين اليهود من احتلال الأرض الفلسطينية.

حذف الراوي للأحداث التي وقعت بين عام ١٩١٣م إلى عام ١٩١٦م: "ورعت واحدة من إمبراطوريات الشر في ذلك الزمان مؤتمراً لهؤلاء القوميين، فعقدت لهم مؤتمراً في باريس في عام ١٩١٣م، وكان معظم المشاركين من فلسطين هم المسيحيين من نابلس، ويافا. وجاءت ضربة السيف الثانية في عنق الدولة الإسلامية، عندما أعلنوا الثورة العربية الكبرى، سنة ١٩١٦م، بقيادة الشريف حسين علي".[٤٨]

ركز الراوي على هذين الحدثين وأغفل الأحداث الأخرى ليؤكد على مشاركة أطراف عربية في المؤامرة التي حيكت ضد الخلافة العثمانية الإسلامية، وانعكاس ذلك على ضياع فلسطين المباركة.

– حذف الراوي للأحداث التي وقعت إبان حكم جنرالات الانتداب البريطاني في فترات حددها الراوي، وذلك لتشابه أفعال هؤلاء الجنرالات، ولانتهاجهم سياسة واحدة تمثلت بالتنكيل بالشعب الفلسطيني: "ويتسلم حكم البلاد حاكم عسكري، يدعى الجنرال جلبرت كلايتون لمدة ستة أشهر، ثم تلاه الجنرال موني لمدة ثمانية عشر شهراً، ثم خلفه الجنرال واطسون لثلاثة أشهر، ثم جاء الجنرال بولز حتى ديسمبر ألف وتسعمائة وتسعة عشر.

كلهم جنرالات دم، عشاق أشلاء، وغبار، ودمار، ونياشين عار، فقد تمكنت السيوف الست المنقوعة بدم الشهداء..... من احتلال الحورية الجميلة".[٤٩]

– حذف الراوي للأحداث الواقعة بين ١٤ مايو ١٩٢١م إلى ٣ يونيو ١٩٢١م: "قامت السلطات بعمل استرضائي، إذ أوقفت الهجرة اليهودية مؤقتاً اعتباراً من ١٤ مايو ١٩٢١م.

وألقى المندوب لسامي هربرت صموئيل بياناً في ٣ يونيو ١٩٢١م ذكر فيه أن بريطانيا لن تفرض على شعب فلسطين سياسة تجعلهم يعتقدون أنها مناقضة لمصالحهم الدينية والسياسية والاقتصادية".[٥٠]

حذف غير المحدد

– قيام الراوي بإسقاط ذكر الأحداث التي حدثت في فترة زمنية لم يحددها، واكتفى فقط بذكر أثر سقوط المطر على الحياة في المدينة: "كانت المدينة قد استرخت تحت غطاء من السحاب الأسود الداكن، وكانت الأرض طوال الأيام السابقة قد ارتوت بعد عطش، واغتسلت بماء منهمر، شرب منه الإنسان، وملأ خزاناته الجوفية، كما شرب الحيوان والنبات".[٥١]

– حذف الراوي للأحداث التي حدثت في أسابيع لم يحددها، وتركيزه فقط على ذكر المحبة التي جمعت قلوب الشيخ عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين في فترة قصيرة، ولعله أراد من وراء ذلك إبراز جانب الألفة والمودة، ودورها في رص الصفوف وتقويتها في مواجهة المحتل الغاصب "جلس الجميع في هدوء، تجمعهم محبة وأخوة تعززت بصورة كبيرة في أسابيع قليلة، وباتت القلوب مؤتلفة كأنها صحبة طفولة".[٥٢]

– لم يحدد الراوي ماهية الفترة التي سبقت دخول الملك فيصل إلى دمشق، ولم يذكر الأحداث التي وقعت خلال تلك الفترة، بل اكتفى فقط بذكر الإعلان عن حكومة عربية مستقلة، وذلك لما لهذا الحدث من أثر سلبي على القضية الفلسطينية: "دخل الملك فيصل إلى دمشق، على رأس جيش الصحراء، في الأول من نوفمبر ١٩١٨م،وبعد فترة قصيرة تم الإعلان عن حكومة عربية مستقلة".[٥٣]

– لم يذكر الراوي الأحداث التي تلت خروج عدد من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، وتوجههم إلى الحجاز، ولم يحدد تلك الفترة: "فقد خرج قبل أشهر قليلة عدد من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى، وتوجهوا إلى الحجاز، لجمع تبرعات ترميم المسجد الأقصى".[٥٤]

الخلاصة

تشترك مع تقنية الحذف في تسريع زمن السرد الروائي وتعني "تلخيص عدة أيام، أو عدة أسابيع، أو عدة سنوات في مقاطع، أو صفحات قليلة ومن دون الخوض في ذكر التفاصيل".[٥٥]

يجد المتأمل لهذه الرواية (موضوع البحث) أن الراوي قد وظف تلك التقنية لاختزال فترات زمنية طويلة من الأحداث، والاقتصار على الإشارات العابرة لتلك الفترة، ومن الأمثلة على ذلك:

– اختزال الراوي للأحداث التي أسهمت في ضياع أرض فلسطين وساعدهم استيلاء جماعة "تركيا الفتاة" على الحكم في اسطنبول عام ١٩٨٠م الذين جاهروا بقوميتهم الطورانية، واستعلائهم على القوميات الأخرى في الدول الكبرى. وتشكلت الجمعيات السرية في لبنان، وكان روادها المسيحيون القوميون، ممن وصفوا أنفسهم بالمثقفين. كانت المطالبة بالاستقلال الثقافي مدخلهم للمطالبة بالاستقلال التام عن الدولة الإسلامية الكبرى. ورعت واحدة من إمبراطوريات الشر في ذلك الزمان مؤتمراً لهؤلاء القوميين، فعقدت لهم مؤتمراً في باريس في عام ١٩١٣م، وكان معظم المشاركين من "فلسطين" هم المسيحيين من نابلس، ويافا.

وجاءت ضربة السيف الثانية في عنق الدولة الإسلامية، عندما أعلنوا الثورة الكبرى سنة ١٩١٦م بقيادة الشريف حسين بن علي".[٥٦]

– اختزال الراوي للأحداث التي وقعت عام ١٩٢٠م، والاكتفاء فقط بذكر الأحداث المهمة في هذا العام "كان العام ١٩٢٠م حافلاً بالأحداث التي أسست لتصاعد الصراع في الشام بصورة كبيرة، ففي فبراير عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني في دمشق، وبعد شهر خرجت مسيرة ضخمة في القدس، يوم الثامن من مارس احتفالاً بتنصيب الملك فيصل على سورية،... فأرسلت أمريكا لجنة (كنج كرين) إلى الشام في الخامس والعشرين من يونيو ١٩٢٠م،... وفي نفس الشهر أسس اليهود تنظيم الهاجاناة،...

في الأول من يوليو انتهى الحكم العسكري، وتسلم هربرت صمويل منصب المندوب السامي".[٥٧]

– اكتفى الراوي بذكر حدثين من الأحداث التي وقعت في شهر سبتمبر من عام ١٩٢١م: "في شهر سبتمبر

من هذا العام منح هربرت صمويل حق امتياز كهرباء عموم القدس للثرى اليهودي، ... وتم اعتقال الشيخ الحاج إبراهيم لعدة أيام".[٥٨]

– اكتفاء الراوي بذكر خلاصة المواجهات التي حدثت في الثاني من نوفمبر من عام ١٩٢١م، بين العرب واليهود، دون أن يخوض في التفاصيل "وفي الثاني من نوفمبر من العام نفسه حدثت هبة شعبية عارمة في القدس، وتبادل الطرفان النار، وقتل العرب من اليهود خمسة، واستشهد من العرب ثلاثة، وجرح من الطرفين ستة وعشرون، وأصدرت بريطانيا أحكاماً قاسية على العرب وأخرى مخففة على اليهود".[٥٩]

– إبراز الراوي لثمرة جهود الشيخ عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين والتركيز عليها دون غيرها من الأحداث التي حصلت في عام واحد بأسطر قليلة: "وأثمرت جهود عز الدين القسام مع إخوانه في كل القطر السوري، في الإعداد النفسي للمواجهة ضد الاحتلال، واندلعت الانتفاضة في كل مكان، حتى إذا أطفأتها قوة البطش في مكان اشتعلت في مكان آخر، وبخاصة في جبل صهيون، لقد غطت الثورة والمقاومة وجه القطر السوري، وقد كانت هذه واحدة من أكبر المواجهات مع الاحتلال، لقد تجمع الشعب في منطقة جبل صهيون حول المجاهد البيطار في عام ١٩١٩م، واستمرت هذه المواجهات حتى عام ١٩٢٠م".[٦٠]

– اختزال الراوي للأحداث التي حدثت في الفترة الواقعة ما بين ١٩٢١م إلى ١٩٢٥م والاكتفاء فقط بذكر ثلاث حوادث تبرز مقاومة الفلسطينيين للاحتلال الصهيوني: " ولكن حدثت بعض الأحداث المتفرقة، مثل مظاهرة القدس في ذكر وعد بلفور في ٢ نوفمبر١٩٢١م، التي أدت إلى مقتل خمسة واستشهاد ثلاثة من العرب وإصابة ٣٦ من الطرفين.

وفي مارس ١٩٢٤م، كان اليهود يحتفلون بعيد المساخر واستخدموا في ألعابهم زي العلماء المسلمين؛ مما أثار حفيظة المسلمين، فقتل يهودي وآخر مسلم، وجرح يهودي واثنان من المسلمين.

تقنيتا الإبطاء

وتختصان بتهدئة السرد والتقليل من سرعته، وتتمثلان (بالمشهد والوقفة الوصفية) وفيهما تقدم الأحداث التي استمرت لساعات قليلة في صفحات طويلة.

– المشهد

يتمثل بالحوار الذي ينوب مناب السرد عندما يختفي الراوي بدوره ويفسح المجال للشخصيات لتتحاور فيما بينها".[٦١]

وهو "فعل محدد – حدث مفرد – يحدث في زمن ومكان محددين، ويستغرق من الوقت الذي لا يكون فيه أي تغيير في المكان، أو أي قطع في استمرارية الزمن".[٦٢]

يجد المتأمل لصفحات الرواية (موضوع البحث) أن الحوار شغل مساحة لا بأس بها من هذه الصفحات، وربما يعود ذلك إلى حيوية الدور الكبير الذي يقوم به الحوار في الرواية، إذ لا يمكن أن يسترسل المؤلف بسرد الأحداث، من دون أن يجعل الشخصيات تتحاور فيما بينها، لتفصح عن حركتها وأفكارها مباشرة، وخير مثال على ذلك المشاهد التي تضمنتها الرواية، ففي المشهد الأول نقل الراوي حواراً دار بين شخصيات الرواية حول المواجهة التي تمت بين الفلسطينيين والاحتلال البريطاني الصهيوني، حيث كشفت هذه المواجهة

عن مساندة البريطانيين للصهاينة في مشروعهم الاستعماري لفلسطين: "

– خرجت الجرذان من جحورها، وانكشف التواطؤ الإنجليزي مع اليهود، ولكن هل كانت هناك خسائر في جانبنا؟ أقصد صاحب الكوفية والعقال؟

– لا انسحبوا بسرعة بعد مواجهة سريعة مع حراس الميناء، غير أن هناك عدداً من الشهداء...

– وبقيت جثثهم في الميناء؟

– كلا فلم ينسحب الشباب إلا وقد حملوا الشهداء معهم، والعجيب أنهم اختفوا في الميناء، و لم يعرف أحد كيف اختفوا، ولا أين ذهبوا؟! – هل اعتقلوا أحداً؟

– نعم بعض الناس كانوا حول الميناء ممن تصادف وجودهم في المنطقة...

– ألا تكون هذه حيلة صهيونية لتمرير التشديد على الميناء لتمرير سياستهم؟ ألا يكون هذا الملثم من صفهم ليتعرفوا على الثوار من خلاله؟ – كل شيء محتمل حول الملثم، ...

– قصة هؤلاء الشباب تثير سؤالاً: لماذا لا تشكل مجموعات من الشباب من أجل...

– هذه أمنيتنا...".[٦٣]

ويكشف مشهد آخر عن أول لقاء للشيخ عز الدين القسام ورفاقه بالملثم، وعن الطريقة التي يتبعها المقاومون الفلسطينيون في مواجهة الاحتلال البريطاني الصهيوني: " وصاح الشيخ عبيد:

– أشعر بألم في قدمي

فقال الشيخ الحنفي بصوت أراده مسموعاً:

– اصبر ولنكمل وما شاء الله كان

– وهذا الذي يقف؟

– إن كان عربياً ساعدنا، وإن كان غير ذلك فحسبنا الله

هنا تقدم الملثم خطوة، ثم همس:

– اطمئنوا، ولكن ما الذي أخرجكم في هذا الوقت، وفي هذا الشارع بالذات؟

– نحن نقصد مسجد الاستقلال للصلاة.

– المسجد مغلق فإلى أي بيت تتوجهون؟

ولما لم يرد عليه أحد، قال:

– لا بأس، اتبعوني.

... – دورية تمر في الشارع الرئيس حذار أي صوت أو حركة

... – لقد ابتعدت العربات

– انتظر يا سيدي دقائق معدودة هناك من سيطلق الرصاص.

– الآن اتجهوا إلى نهاية الشارع حتى ألحق بكم

– لكنه لحق بهم بعد دقائق حاملاً بندقية إضافية معه وأنفاسه تتلاحق

– من أين هذه؟

– آخر جندي في الدورية، نحن نعتمد على هذه الطريقة، نطلق على آخر الجنود، ولا يلحظون غيابه إلا بعد فترة ... نكون قد ظفرنا بسلاحه ".[٦٤]

وفي مشهد آخر يكشف الراوي عن مدى معاناة المقاوم الفلسطيني، وعدم مساندة الأنظمة العربية للمقاومة الفلسطينية، وعن محاولات هذا المقاوم في التغلب على العقبات التي تواجه المقاومة بكل السبل: " – ها يا شيخ حنفي، كيف كان لقاؤك؟

– أولاً أخبرنا ماذا كان يريد منك هذا المجرم؟

– تحذير وتهديد وكالعادة، كان يتحدث عن مؤتمركم، وهو كما بدا لي لا يعرف من حضر؟

– وهل سأل عن أحد ما؟

– عن أبي إبراهيم فقط، وشاء الله أن يكون أخونا في المستشفى يومها...

– المهم كيف كانت رحلتكم؟ نريد بالتفصيل:

– أولاً.... ستصل، بإذن الله تعالى في غضون أيام عدة بنادق في طراز انجليزي...

– انجليزي؟

– نعم، قيل إن أحد العاملين في أحد الموانئ سرقها، و لم يبعها إلا للمجاهدين.

– لص شريف! ...

– باعها بأقل من ثمن–معنى ذلك أن على العامل الفلسطيني أن يعمل مئة شهر حتى يمتلك واحدة!

ها، تعرفون أن ثمن البندقية وصل إلى أكثر من مئة جنيه فلسطيني.

– هذا هو حالنا، وأسلحة الدول العربية تصول وتجول في استقبال الوفود البريطانية والفرنسية التي تحتل كرامة الأمة قبل أن تدوس أرضهم ومقدساتهم".[٦٥]

يلاحظ مما سبق أن تحقق التوازن النسبي بين زمن السرد وزمن الحكاية أبطأ إيقاع الزمن الروائي، وعمل على كسر رتابة السرد، وعرض الأحداث عرضاً مفصلاً ودقيقاً.

للراوي العليم المطلع على خفايا الأمور حضور واضح في المشاهد السابقة، فبالرغم من أن المشاهد الحوارية برزت فيها أصوات الشخصيات المتحاورة ؛ لكي تعرض الحدث بكل تفاصيله وأبعاده، إلا أن الكاتب أبرز صوت الراوي إلى جانب هذه الأصوات.

الوقفة الوصفية

تعني: "التوقيف الحاصل من جراء المرور من سرد الأحداث إلى الوصف".[٦٦]

سواء كان وصفاً للمكان أم للأشياء أم للشخصيات الروائية.

وفي هذه التقنية يتعطل زمن الحكاية، وبين التمدد والتوقف تتشكل محطات استراحة زمنية يلتقط فيها السرد أنفاسه.

بعد استقراء صفحات الرواية (موضوع البحث) وجدنا محطات كثيرة توقف فيها الزمن عن حركته، وفسح المجال لتلك المشاهد الوصفية، التعليقية، والتضمينية، ومن بينها المشاهد الوصفية التالية:

بدأ الكاتب الرواية (موضوع البحث) بوصف لأرض فلسطين، حمل في طياته ما جرى لها عبر الأزمان: "

أقبل القرن العشرون الميلادي على فلسطين كعروس وقفت بين الحضور، أجمعوا كلهم أنها أجمل العرائس، حورية ظهرت من البحر الأبيض، بياض الجميلات زينة الزفاف ... كانت هناك عيون يهودية تنظر إليها كأنها ابنة جدتهم، وعيون مسلمة متوترة ... الجميع يعلم أن الرومان اختطفوها ثم اختطفها الفرس.....رأى اليهود أن المسلمين ورثوها كغنيمة حرب...

كانت الحورية في بيت يقرأ القرآن، حافظ عليها أصحابه، وصدوا عنها المغتصبين، ومن تجرأ عليها من حملة الصلبان عاقبوهم، وطردوهم، وغسلوا بيت الحورية الحسناء بالماء والثلج والبرد".[٦٧]

وفي وصف آخر يصف الكاتب أحد الأبطال الرئيسة في هذه الرواية (الشيخ عز الدين القسام): " وعلى الجانب الآخر من السهل العربي العظيم، كان شيخ طويل القامة، أبيض البشرة، أكحل العيون كملايين من المسلمين قد أحجموا عن الانضمام إلى هذه الانفصاليات الجديدة، وعلموا أن الخطيئة كلها في الوقوف ضد السلطان عبد الحميد، كان الشاب الشيخ عز الدين القسام يجلس في أحد الكتاتيب في الساحل السوري ليعلم الناس القرآن ".[٦٨]

لقد كشف الكاتب في هذا الوصف عن شخصية الشيخ عز الدين القسام الإسلامية الرافضة للفكر الانفصالي عن الخلافة الأم لخطورة هذا الانفصال.

ويصف الكاتب في وقفة أخرى حال القدس وهي تشاهد انتفاضة أهلها ضد الاحتلال البريطاني الصهيوني، وهو وصف يحمل في طياته الحب العميق المتبادل بين فلسطين وأهلها: " كانت الحناجر تنشق بالصياح، وكانت القدس قد تسارعت أنفاسها أمام هذه الجماهير، وابتسم ثغرها، والأيادي ترتفع مع كل نداء وتكبير، وبدت الألوف مستعدة للمواجهة، الله أكبر ولله الحمد".[٦٩]

وفي وقفة وصفية أخرى يكشف لنا الكاتب بوضوح أكبر عن شخصية (الشيخ عز الدين القسام): " إنه حفيد الأرض، هو قلبها، وهو دمها وشريانها، هي الطين وهو من طينها، هو من صلبها، هو المكرم وهي القدس، يوماً تحمله على ظهرها، ويوماً تضمه في أحشائها... هو خارجها، وفي كل لحظة سيدها وحارسها... فماذا عليه أن يفعل؟ ليس له إلا أن يضحي من أجلها ".[٧٠]

ويكشف الكاتب في وقفة وصفية أخرى، عن دور (الشيخ المخزومي) – أحد أحباب الشيخ عز الدين القسام – في تثقيف الناس ووتوعيتهم بخطورة الاحتلال البريطاني الصهيوني: " وقف الشيخ المخزومي في مسجد الاستقلال في يوم الجمعة، وقد امتلأت باحته، والساحات المجاورة، والشوارع المجاورة، وارتفع صوته، حتى صار مسموعاً واضحاً لكل مصل، يفصل للبسطاء من الناس كيف أعلن هربرت صموئيل إفلاسه، دون أن يدري، يوم قرر علانية تسليح اليهود... لقد كشف عن وجهه كصهيوني حاقد ".[٧١]

يلاحظ مما سبق أن الوقفة الوصفية أسهمت في التخفيف من سرعة الزمن السردي، وتوقفه والاستطراد في زمن الخطاب وازدياد سعته، كما وسلطت الضوء على خفايا بعض الأحداث والشخصيات، وكشف الملابسات المحيطة بها، حتى يفهم المتلقي مستقبل تلك الأحداث.

ثالثاً: مستوى التواتر

يعني: "تكرار بعض الأحداث من المتن الحكائي على السرد". [٧٢]

وقد يسمى بالاستعادة أي "إعادة سرد شيء ما يتم حدوثه وتكراره داخل الحدث".[٧٣]

ويتحدد عندما يتم النظر إلى "العلاقة بين ما يتكرر حدوثه، أو وقوعه من أحداث وأفعال على مستوى الوقائع من جهة وعلى مستوى القول من جهة ثانية".[٧٤]

– يحكى مرة واحدة ما وقع مرة واحدة

يتطابق في هذا النوع زمن الحكاية مع الزمن المحكى.

وهذا المستوى شائع في كل مستويات النص الروائي، إذ يسرد الحدث مرة واحدة، ولا توجد ضرورة فنية لتكراره، وحينئذ لايتكرر الزمن لعدم تكرار الحدث.[٧٥] ويتضمن وظيفة دلالية "تكمن في أن الحدث الذي يوصل دلالته من المرة الأولى لاتوجد ضروره لتكراره،ومن ثم لم تتكرر هذه الأحداث لأن بعدها الدلالي قد اتضح من المرة الأولى ومن ثم يصبح تكراره ضرباً من الحشو والتكلف في النص الروائي ".[٧٦]

والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

– حادثة وفاة الشيخ كامل الحسيني (مفتي القدس) – رحمه الله – ذكرها الكاتب لمرة واحدة لأنها حادثة لا تتكرر لنفس الشخص: " وفي نفس الشهر أيضاً توفي كامل الحسيني، مفتي القدس، رحمه الله، فقام العلماء الشرعيون والوعاظ بترشيح ثلاثة من الشيوخ...

فصار أمين الحسيني الثالث ؛ وبذلك سهلوا عليه الوصول للمنصب ".[٧٧]

– حادثة بيع الشيخ (عز الدين القسام) لبيته في جبلة: " وفي أكتوبر ١٩١٨م باع الشيخ عز الدين القسام بيته في جبلة، وانتقل مع أسرته إلى قرية "الحفة" ذات الطبيعة الجبلية، والموقع الحصين".[٧٨]

– حادثة إصابة (جابوتنسكي)– قائد فيلق من اليهود في الجيش البريطاني –، على يد الثوار الفلسطينيين: " فأخرج الملثم مسدسه، وصوب إلى جابوتنسكي، فأصابه في كتفه، وثارت الجماهير، وانطلقت زخات الرصاص على الناس ".[٧٩]

– يحكى مرات لا نهائية ما وقع مرة واحدة

عندما يتكرر سرد الحدث لا بد من أن يتكرر معه الزمن. وقد يتغير أسلوب رواية الحدث، فمرة يروى باستبدال الراوي الرئيس – الشخصية الرئيسة – بغيره من الشخصيات الثانوية الأخرى، ومرة تتعدد روايته بتعدد وجهات النظر المختلفة".[٨٠]

يلاحظ المتأمل لصفحات الرواية (موضوع البحث) أن هذا حصل في شواهد كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– تكرار حدث (تنصيب الملك فيصل) أكثر من مرة على لسان الراوي العليم: "وذلك في يوليو ١٩١٩م، لتنصيب الملك فيصل على سورية الكبرى".[٨١]

"يوم الثامن من مارس احتفالاً بتنصيب الملك فيصل على سورية".[٨٢]

– تكرار سرد علاقة الشيخ عز الدين القسام بالأرض المباركة، على لسان الراوي العليم: "وحدد علاقته بالخالق، وحدد الرجل علاقته بالأرض، كل الأرض".[٨٣]

"لقد حدد علاقته بالأرض كل الأرض".[٨٤]

– تكرار حدث (رفض بيع الأرض للانجليز): "قال الشيخ القصاب: "لقد رفضت العرض، وحرضت الآخرين على الرفض".[٨٥]

– يحكى مرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية

يعني (حالة التكثيف السردي للزمن الطويل الممتد، الذي تشعر به الذات، لكن السارد يختزله في العملية السردية في جمل أو فقرات أو تعبيرات موجزة، وتقترن بالأحداث النمطية في الرواية، وهي الأحداث المألوفة التي مرت بها الذات كل يوم، وكل أسبوع، أو كل شهر، أو كل صباح، أو كل مساء. لكن السارد يسردها مرة واحدة في جملة أو عبارة أو فقرة. أي أن هذا التواتر الزمني يعتمد على التكثيف الشديد، فيعبر الراوي عن زمن مألوف تمر به الشخصية في شكل دوري، وذلك باستخدام جملة واحدة للتعبير عنه".[٨٦]

يجد المتأمل لصفحات هذه الرواية، أن ذلك حصل في شواهد عديدة، منها على سبيل المثال:

– سرد الراوي لحدث (احتفال النصارى بعيد الفصح) – الذي يتكرر كل عام – مرة واحدة فقط: "منذ أن فتح الله فلسطين على يد صلاح الدين الأيوبي، ووقوف أهل البلاد المسيحيين معه، أمنهم على أرواحهم وأموالهم، وسمح لهم بأن يحتفلوا في كل عام بعيد الفصح".[٨٧]

– سرد الراوي لحدث (اللقاءات السرية للمجاهدين) مرة واحدة مع أنه يحدث تكراراً: "وقد اعتادوا على هذه اللقاءات السرية في أماكن متعددة، يستعينون بظلمة الليل ليحققوا غرضهم".[٨٨]

– شعور الشيخ (عز الدين القسام) بحبه الشديد لأرض فلسطين، وهو حب لا يقل عن حبه لموطنه الأصلي سوريا، وهو شعور متجدد لا ينقطع، وقد ذكره الراوي مرة واحدة، لعدم الحاجة لتكراره: "وفي كل مرة أشعر أني أسير في شوارع اللاذقية ودمشق! نفس الوجوه، ونفس اللغة هي... هي".[٨٩]

الخاتمة

وبعد التجوال في صفحات هذه الرواية خلص الباحث إلى النتائج التالية:

– عالجت الرواية مرحلة مهمة من مراحل الصراع العربي الإسلامي الصهيوني، وذلك في مرحلة الانتداب البريطاني لفلسطين.

– كشفت الرواية عن حجم المؤامرة البريطانية الصهيونية، وتخطيطهما المتواصل لاحتلال أرض فلسطين وتمليكها للصهاينة.

– سلطت الضوء على شخصية جهادية مميزة، كان لها التأثير الكبير على المقاومة الفلسطينية بعد هذه المرحلة، ألا وهي شخصية الشيخ عز الدين القسام، لدرجة أن إحدى الحركات الفلسطينية المؤثرة في المجتمع الفلسطيني المعاصر (حماس) أطلقت على جناحها العسكري اسم (كتائب الشهيد عز الدين القسام) تيامناً بهذا البطل المغوار.

– تنوعت التقنيات الزمنية، بمختلف مستوياتها، و لم تقتصر على تقنية دون أخرى أو على مستوى دون آخر.

– ورد الاسترجاع بطرق عدة، و لم يحدد بآلية دون سواها، وقد كان له الدور المهم في تنامي حركة السرد الروائي.

– ارتبطت تقنية الاستباق بالفضاء المهيمن في المادة التطبيقية، فإذا كان الفضاء المهيمن واقعياً توقع حصوله،

أما إذا كان غير مألوف امتنع تحققه.

– في مستوى المدة تنوعت أيضاً تقنيتا التعجيل والتبطئة، وقد هيمنت بشكل واضح على صفحات الرواية(موضوع البحث) سواء بتسريع حركة السرد أو بتهدئة حركته والتقليل من سرعته.

– أما على مستوى التواتر، فقد تنوع السرد بين ما يحكى مرة واحدة لما وقع مرة واحدة، وبين ما يحكى مرات لا نهائية لما وقع مرة واحدة، وبين ما يحكى مرة واحدة لما وقع مرات لا نهائية.

– أسهمت المستويات الزمنية في توضيح الفكرة التي أرادها الكاتب، من خلال ربط الأحداث بعضها ببعض، بحيث يصل المتلقي من خلال هذا الربط إلى هذه الفكرة بدون تعقيد وتدخل مباشر من الكاتب.

– كان للراوي العليم حضور في النص الروائي، ولكن بصورة لا تؤثر على مجريات الأحداث، أو الدور الذي تقوم به الشخصيات، حيث تركز حضوره على الوصف فقط.

الهوامش والمصادر

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة: زمن

[٢] الفيروز أبادي. مجدالدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط٢: ١٩٥٢م، ٢٣٣/٣-٢٣٤

[٣] الأندلسي، ابن سيده. المخصص. ط: ١٩٦٦م، ط: ١٩٦٦م، المكتب التجاري، بيروت، ص٩، ٦٣

[٤] يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي، الزمن السرد التبئير. ط: ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص٦١

[٥] أيوب، محمد. الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة. ط١: ٢٠٠١م، دار سندباد للنشر والتوزيع، القاهرة، ص٣٧

[٦] نفس المصدر، ص١٠٤

[٧] المحادين، عبد الحميد. التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف. ط١: ١٩٩٩م، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ص٦١

[٨] جينيت، جيرار. خطاب الحكاية: بحث في المنهج. تر : محمد المعتصم وآخرون. ط٢: ١٩٩٧م، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ص٤٠

[٩] نفس المصدر، ص٤٧

[١٠] يوسف، آمنة. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. ط١: ١٩٩٧م، دار الحوار، اللاذقية، ص٦٩

[١١] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، م . س، ص٥١

[١٢] الشويلي، داود سلمان. ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية. ط: ٢٠٠٠م، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص٦٥

[١٣] نفس المصدر، ص٢٠٨

[١٤] البكري، سليمان. مضمرات النص والخطاب دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي. ط: ١٩٩٩م، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ص٢٤٩

[١٥] الزهار، محمود. شمعة لا تنطفئ. ط: ٢٠١٠م، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، فلسطين، ص٧٢

[١٦] نفس المصدر، ص٧٠

[١٧] نفس المصدر، ص٨١

[١٨] العاني، شجاع مسلم. البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء السرد). ط١: ١٩٩٤م، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص٦٣

[١٩] شمعة لا تنطفئ، ص١٥ – ١٧

[٢٠] نفس المصدر، ص٤٥ – ٤٧

[٢١] نفس المصدر، ص٥٤

[٢٢] نفس المصدر، ص٥٨

[٢٣] نفس المصدر، ص٨٢

[٢٤] نفس المصدر، ص٨٥

[٢٥] نفس المصدر، ص١٣٢

[٢٦] نفس المصدر، ص٢٩ – ٣٠

[٢٧] نفس المصدر، ص٥٢

[٢٨] نفس المصدر، ص٥٦

[٢٩] عناني، محمد. المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم إنجليزي — عربي. ط٢: ٢٠٠١م، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص٨٠

[٣٠] الفيصل، سمر روحي. الرواية العربية، البناء والرؤية (مقارنة نقدية). ط: ٢٠٠٣م، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ص١٤٤

[٣١] الخفاجي، حبيب. الزمن النحوي في قصص القرآن الكريم – رسالة ماجستير كلية الآداب. ط: ٢٠٠٣م، جامعة البصرة، ص١٥٧

[٣٢] القطراوي، مها حسن. الزمن في الرواية العربية. ط١: ٢٠٠١م، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ص٢١١

[٣٣] شمعة لا تنطفئ، ص٢١

[٣٤] نفس المصدر، ص٣٠

[٣٥] نفس المصدر، ص٣٢ – ٣٣

[٣٦] نفس المصدر، ص٥٣

[٣٧] نفس المصدر، ص٦٣

[٣٨] نفس المصدر، ص٧٠

[٣٩] نفس المصدر، ص١٣٦

[٤٠] نفس المصدر، ص١٢٧

[٤١] تقنيات السرد الروائي، ص١٢٤

[٤٢] البنية السردية في شعر نزار قباني، ص٨٨

[٤٣] علي، هيثم الحاج. الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي. ط١: ٢٠٠٨م، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ص١٧٣

[٤٤] أبو عزة، محمد. تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم. ط١: ٢٠١٠م، منشورات دار الاختلاف، دار الأمان، رباط، الدار العربية، ص٩٤

[٤٥] الزمن النوعي وإشكاليات السرد، ص١٧٦

[٤٦] تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص٨٥ –٨٦

[٤٧] شمعة لا تنطفئ، ص٢

[٤٨] نفس المصدر، ص٥

[٤٩] نفس المصدر، ص١٢

[٥٠] نفس المصدر، ص٢٧

[٥١] نفس المصدر، ص٣٤

[٥٢] نفس المصدر، ص٥١

[٥٣] نفس المصدر، ص٧٠، ٧١

[٥٤] نفس المصدر، ص٨١

[٥٥] أبو ناصر، موريس. الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة. ط: ١٩٧٩م، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، ص٩٨

[٥٦] شمعة لا تنطفئ، ص٤ – ٥

[٥٧] نفس المصدر، ص١٤ – ١٥

[٥٨] نفس المصدر، ص٢٨

[٥٩] نفس المصدر، ص٣٣

[٦٠] نفس المصدر، ص٤٨

[٦١] تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ص٨٤

[٦٢] سرجليان، ليون. "بناء المشهد الروائي". تر: فاضل عامر، مجلة الثقافة الأجنبية، عدد٢، ١٩٧٧– ١٩٧٨م، : ٧٨

[٦٣] شمعة لا تنطفئ، ص٣١ –٣٢

[٦٤] نفس المصدر، ص٣٧– ٣٨

[٦٥] نفس المصدر، ص١١٠– ١١١

[٦٦] المرزوقي، سمير و شاكر، جميل. مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً. ط: ١٩٨٦م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٨٦

[٦٧] شمعة لا تنطفئ، ص١

[٦٨] نفس المصدر، ص٧

[٦٩] نفس المصدر، ص١٧

[٧٠] نفس المصدر، ص٢٠

[٧١] نفس المصدر، ص٣٢

[٧٢] بو طيب، عبد العالي. "إشكالية الزمن في النص السردي". مجلة فصول،مج١٢، ع٢، ١٩٩٣،ص٤

[٧٣] مصطفى، مروة. الزمان – المكان المتخيل بين النص الشكسبيري والمعالجات الشكسبيرية الحديثة. ط١: ٢٠٠٧م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص١٠١

[٧٤] تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ص٨٥

[٧٥] مبروك، مراد عبد الرحمن. بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٢٣

[٧٦] نفس المصدر، ص١٢٥

[٧٧] شمعة لا تنطفئ، ص٢١

[٧٨] نفس المصدر، ص٤٧

[٧٩] نفس المصدر، ص٧٧

[٨٠] مدخل إلى نظرية القصة، ص٨٣

[٨١] شمعة لا تنطفئ، ص٩

[٨٢] نفس المصدر، ص١٤

[٨٣] نفس المصدر، ص١٩

[٨٤] نفس المصدر، ص٢٠

[٨٥] نفس المصدر، ص٦٤

[٨٦] بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص١٤٦

[٨٧] شمعة لا تنطفئ، ص١٥

[٨٨] نفس المصدر، ص٢٩

[٨٩] نفس المصدر، ص٦١